البحر المتوسط في الصراع البريطاني الفرنسي
إبان الحملة الفرنسية على مصر

أ.د أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ومدير مركز بحوث الشرق الأوسط
جامعة عين شمس

ملخص :

اكتسب البحر المتوسط أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية عبر العصور من خلال موقعه الجغرافي المتميز؛ حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية، ونقطة التقاء بين أوروبا وأفريقيا.

وتُعد الحملة الفرنسية على مصر واحدة من أهم المحطات المهمة في تاريخ البحر المتوسط؛ وذلك لأنها قلبت الموازين الدولية والاستراتيجية في المنطقة، هذا البحر الذي يُعد همزة وصل بين الشرق والغرب والالتقاء بين الشمال والجنوب .

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر (حوالي ثلاث سنوات وشهرين ويوم واحد) غير أن هذه المدة شهدت الكثير من الأحداث والاستراتيجيات التي تبنتها كل من فرنسا وبريطانيا.

وقسم هذا البحث إلى ثلاث مراحل: الأولى: أطلق عليها اسم "مرحلة التفكير" أي تفكير السلطات الفرنسية في كيفية توجيه ضربة قاضية لبريطانيا، في إطار الصراع الفرنسي البريطاني، وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٥م إلى عام ١٧٩٨م، أما المرحلة الثانية: فأطلق عليها اسم "مرحلة التنفيذ"، وتقع خلال الفترة من أبريل إلى يوليو عام ١٧٩٨م، وعلى الرغم من قصر الفترة الزمنية لهذه المرحلة، إلا إن فرنسا تبنت فيها كثيراً من السياسات والاستراتيجيات. أما المرحلة الثالثة: فقد أطلق عليها اسم "مرحلة رد الفعل"، أي رد الفعل البريطاني لمواجهة الاستراتيجيات الفرنسية، وتمتد

هذه المرحلة منذ وطئت قدم الحملة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية وحتى جلاء الحملة عن المنطقة .

وقد توصل البحث إلى نتائج جديدة :منها أن الاستراتيجية الفرنسية قد اتخذت من عام ١٧٩٥م عامًا حاسمًا ومفصليًا في سياستها تجاه ضرب بريطانيا في مستعمراتها عن طريق السيطرة على مصر، ولذا بدأ التفكير بجدية في غزو مصر .

كما بين البحث أن السياسة الفرنسية قد لجأت إلى عدد من الاستراتيجيات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية من أجل احتواء مصر والسيطرة عليها، غير إن هذه الاستراتيجيات لم تنجح، بسبب الإجراءات المضادة التي اتخذتها بريطانيا عن طريق استخدام نفس الأسلوب الاستراتيجي في المواجهة.

كما أوضح البحث أن إرسال قوات عسكرية بريطانية من الهند للاشتراك مع القوات العسكرية البريطانية الآتية من أوروبا أمر له دلالته في التنسيق والارتباط بين الهند ولندن، ويحدث هذا لأول مرة في الاستراتيجية البريطانية، وأصبح سمة واضحة – فيما بعد – طوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

Abstract:

The Mediterranean Sea in the British – French Conflict during the French Expedition on Egypt.

The Mediterranean Sea has gained strategic importance in international politics through the ages through its privileged geographical location, with its in-middle position between the world's seas being the link between the Eastern and Western seas, and a meeting point between Europe and Africa.

The French Expedition against Egypt is one of the most important points in the history of the Mediterranean Sea, because it has reversed the international and strategic balances in the region, a sea that is considered a link between the east, the west and the north-south crossing.

Despite the short duration of the French Expedition in Egypt (about three years, two months and one day), this period has witnessed many occurrences and strategies adopted by France and Britain.

This research was divided into three stages, the first called the "thinking phase" i.e. the thinking of the French authorities on how to deal a fatal hit to Britain, in the context of the French-British conflict, this phase extends from 1795 to 1798, and the

second phase is called the "implementation phase" which falls from April to July 1798, and despite the short time period for this phase, France adopted a lot of policies and strategies. The third phase was called the "reaction phase", i.e. the British reaction to face the French strategies, and this phase extends from the moment the French Expedition stepped a foot on the Egyptian shores until the evacuation of the campaign from the region.

The research had reached new results, including that the French strategy had taken the year 1795 AD a decisive year in its policy towards striking Britain in its colonies by controlling Egypt, so they started thinking seriously about the invasion of Egypt.

The research also showed that French policy has resorted to a number of diplomatic, political and military strategies in order to contain and control Egypt, but these strategies did not succeed because of the countermeasures taken by Britain by using the same strategic method of confrontation.

The research also showed that the dispatch of British military forces from India to join the British military forces from Europe is significant in the coordination and engagement between India and London, and this happens for the first time in British strategy, and became a clear feature - later - throughout the nineteenth and early 20th centuries.

مقدمة :

بدأ التنافس بين فرنسا وبريطانيا على المستعمرات في الشرق في القرن السابع عشر الميلادي، واستمر طوال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ بعدًا جديدًا بعد قيام الثورة الفرنسية في يوليو ١٧٨٩م، وكان البحث عن المستعمرات خارج أوروبا أحد خصوصيات العصر الحديث في تاريخ أوروبا بعد انتهاء الإقطاع، وقيام الدولة القومية، ووجود الرأسمالية التجارية . وبعد قيام الثورة الصناعية، أصبحت الحاجة إلى الأسواق والمستعمرات أمرًا أكثر حيوية للدول الرأسمالية الأوروبية في فرض النفوذ والسيادة على مناطق مختلفة في العالم الجديد والشرق، للحصول منها على موارد طبيعية رخيصة، ثم بيع المنتجات الأوروبية في أسواقها.

يُعد البحر المتوسط من أهم المناطق التي تستقطب الأنظار في عالمنا المعاصر؛ ليس بسبب موقعه كهمزة وصل بين الشرق والغرب فحسب؛ وإنما بسبب قربه من مواقع الأحداث السياسية في الوقت الحاضر، لقد اكتسب البحر المتوسط أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية من موقعه الجغرافي المتميز، حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية بصفة عامة، والبحر الأحمر والمحيط الأطلسي بصفة خاصة، كما إن موقعه في قلب العالم جعله نقطة التقاء بين قارات العالم قديمًا وحديثًا، ومن ثم، أصبح البحر المتوسط شريانًا حيويًا للمواصلات بين الشرق والغرب، ومن يتحكم في هذا البحر، يصبح له اليد العليا في السياسة الدولية، والبحر المتوسط هو الطريق الذي سلكته الحملة الفرنسية إلى مصر .

وتُعد الحملة الفرنسية على مصر واحدة من أهم الأحداث المهمة والرئيسة في تاريخ مصر والبحر المتوسط؛ وذلك لأنها قلبت الموازين الدولية والاستراتيجية في المنطقة، ونبهت الدول الأوروبية إلى أهمية ذلك البحر الذي فقد أهميته لفترة من

الزمن، وصارت تلك الدول تنظر إليه باهتمام شديد، كمعبر مهم بين الشرق والغرب، يمكن لأي قوة تستطيع أن تسيطر على بعض مراكزه أن تنشئ لها نفوذًا ومصالح واسعة حول البحر المتوسط وخارجه.

لقد أعادت الحملة الفرنسية اكتشاف منطقة البحر المتوسط كمنطقة ذات أهمية استراتيجية للقوى الكبرى، وألقت الضوء على هذه المنطقة، بل يمكن القول إن هذه الحملة قد ابتدأت حقبة من الصراع الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا في مصر والبحرين المتوسط والأحمر، وشجعت كلا الطرفين على تبني سياسات معينة إزاء تدعيم نفوذها في المنطقة واستمرت هذه السياسات – تقريبًا – طوال القرن التاسع عشر الميلادي .

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر ومنطقة البحر المتوسط – حوالي ثلاث سنوات وشهرين ويومًا واحدًا – غير إن هذه المدة شهدت الكثير من الأحداث والاستراتيجيات التي تبنتها كل من فرنسا وبريطانيا، ويمكن تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى ثلاث مراحل رئيسة مترابطة متتابعة غير منفصلة:

الأولى : مرحلة التفكير Thinking Stage، أي تفكير السلطات الفرنسية في كيفية توجيه ضربة قاضية لبريطانيا، وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٥م إلى عام ١٧٩٨م، وشهدت هذه المرحلة التطلعات الفرنسية إلى مصر وبلاد الشام ومنطقة البحر المتوسط .

الثانية : مرحلة التنفيذ Implementation Stage؛ وتقع هذه المرحلة إبان عام ١٧٩٨م خلال الفترة من ١٢ أبريل إلى ٢ يوليو، أي منذ اتخاذ الحكومة الفرنسية قرارًا بوضع جيش الشرق تحت قيادة الجنرال بونابرت، وحتى وصول الحملة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية من العام المذكور أعلاه. وعلى الرغم

من قصر الفترة الزمنية لهذه المرحلة إلا إن فرنسا تبنت فيها كثيرًا من السياسات والاستراتيجيات.

الثالثة : مرحلة رد الفعل Reaction Stage؛ وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٨م إلى عام ١٨٠١م، أي منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر المتوسط، وحتى جلاء الحملة، وشهد ت هذه المرحلة ردود الفعل البريطانية والإجراءات التي اتخذتها لمواجهة الخطر الفرنسي.

ومن الجدير بالذكر، إن عرض تفصيلات الحملة الفرنسية على مصر ليست الهدف من هذا البحث، فإن الذي يعنينا منها هو استعراض الصراع البريطاني الفرنسي في منطقة البحر المتوسط والآثار التي ترتبت عليه.

أولاً : **مرحلة التفكير** :

أكدت الوثائق الفرنسية أنه لم يكن هناك صراع وتنافس بريطاني فرنسي واضح المعالم حول منطقة البحر المتوسط قبل مجيء الحملة الفرنسية على مصر، وإنما الصراع بين الدولتين كان حول طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي، وكذلك بعض المناطق المهمة في الخليج العربي[١]. على الرغم من ذلك، كانت هناك

---

(١) تقرير المبعوث الفرنسي الكونت دي رو سلي De Rosily عن الجولة التي قام بها في مناطق الخليج العربي والبحر الأحمر عام ١٧٨٥ م، والذي قدمه للحكومة الفرنسية يؤكد على زيادة حدة الصراع البريطاني في تلك المناطق في ذلك الوقت، كما قدم التقرير أفضل الوسائل التي ينبغي على فرنسا اتباعها لعرقلة المصالح البريطانية في المحيط الهندي وتوثيق العلاقات الفرنسية مع الأمراء الهنود الأمر الذي يساعد على ضرب بريطانيا في الهند وتدعيم مكانة المستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي . انظر:

E.Auzoux: La Fraince at Mascate, eut, XVIII, TXI X Siecles in Ravaed, histoirediplomatique,Vol. 3/24, 1909– 1910, Paris,pp.8–11. =

تطلعات فرنسية حول مصر ومنطقة البحر المتوسط قُبيل مجيء الحملة الفرنسية على مصر ببضع سنوات قليلة.

ففي عام ١٧٩٥م، حدثت عدة دلائل ومؤشرات تؤكد ذلك، ففي أكتوبر من العام المذكور، أوفدت فرنسا إلى القاهرة ديبيوس –ثانفيل Dubois–Thanville في بعثة تجارية؛ ليسعيا لدى الأمراء المماليك للإذن بقيام تجارة فرنسية منظمة بين الهند والسويس والإسكندرية(١). وعقد معاهدات تجارية بين مصر وفرنسا(٢).

=كما إنه في عام ١٧٩٥م، أقامت فرنسا قنصلية لها في مسقط، وعينت بوشام Beauchamp في٣ مارس عام ١٧٩٥م قنصلاً فيها للتعرف على تحركات البريطانيين في الهند، ودراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد، ومعرفة الطرق التي يمكن للفرنسيين استخدامها في حالة قيامهم بأي غزو للشرق . انظر:

Skeet, I,: Muscat and Oman, the end of an Era, London, 1974, p42

وانظر : صلاح العقاد (الدكتور) : التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ص ٦٢–٦٣.

(١) أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي، مقال منشور ضمن " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة " سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٣٦ .

(٢) جمال الدين الشيال (الدكتور) : مصر وطريق الهند في القرن الثامن عشر، مقال منشور في "جريدة المقتطف المصرية "، ج٣، مجلد ٩٩، رجب ١٣٦٠هـ /١٩٤١م، ص ص ٢٥٤–٢٥٩.

وكانت فرنسا قد نجحت في عقد اتفاقية مع مراد بك في أوائل عام ١٧٨٥م تسمح للسفن الفرنسية الآتية من الهند بالوصول حتى السويس، واتفقت كذلك مع كبير ملتزمي الجمارك وبعض مشايخ العرب لنقل هذه المتاجر بين السويس والقاهرة . انظر : جلال يحيى (الدكتور): البحر الأحمر والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ص ١٩–٢١.

وهذه البعثة وإن كانت أهدافها تجارية، إلا إنها فيما يبدو كانت تعمل لأغراض أبعد من ذلك، تمثلت في دراسة الوسائل التي يمكن أن تحقق غزو الفرنسيين لمصر، وتحكمهم في إعادة الاتصال القديم بين البحرين الأحمر والمتوسط(١).

وهذه البعثة كانت شديدة الاهتمام بمنطقة البحر المتوسط بما فيها مصر، وعن طريق هذه البعثة التجارية أعلنت فرنسا أن أهدافها القيام بدراسات وبحوث طبيعية، ولكن في الحقيقة، كان المقصود منها تغطية الأهداف السياسية، ورصد التحركات البريطانية، وتنظيم المؤسسات الفرنسية في الشرق، وتحري الإمكانيات التي بواسطتها تتمكن التجارة الفرنسية من منافسة البريطانيين في المنطقة، ومحاولة تنظيم خطوط تجارية بين الهند والسويس والإسكندرية(٢).

وفي أوائل أكتوبر ١٧٩٥م، كتب شارل مجالون(٣) de Charles Magailon القنصل الفرنسي في مصر آنذاك تقريرًا إلى حكومته قال فيه: " إذا أصبحنا سادة البحرين المتوسط والأحمر، فإننا نستطيع أن نهدد مصالح البريطانيين، وأن نطردهم من الهند، فعن طريق السويس خلال الفترة المناسبة من العام يمكن إرسال عدد من القوات الفرنسية للهند بواسطة عدد قليل من البواخر، ولا يحتاج جنودنا في ذلك

---

(١) محمد عبد الحسين الحلي: عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر ١٧٩٨–١٨٣٩م، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٨٨م، ص ٥٧، ص ص٥٩– ٦٠ .

(٢) شوقي الجمل (الدكتور) : سياسة مصر في البحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ص ١٩–٢٠.

(٣) تولي شارل مجالون عمله كقنصل لفرنسا في مصر منذ عام ١٧٩٣م، وكان من أشد المناوئين لسياسة بريطانيا التوسعية في الشرق، وقد استدعي بعد ذلك من مصر ليشترك في وضع الخطة لغزو مصر وغزو الهند عبر البحر الأحمر . انظر: جمال الدين الشيال : المقال السابق، ص ٢٥٤، ص ص ٢٦٠–٢٦١.

الطريق لأن يبقوا في البحر أكثر من ستين يومًا بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح[١] الذي يستغرق ستة شهور، وعن طريق السويس لن نكون معرضين لخسارة أكثر من ١% من رجالنا، بينما خسائرنا في الطريق الآخر لن تقل عن ١٠% بأي حال من الأحوال "[٢] .

وتأكيدًا للتقرير السابق، كتب مجالون لحكومته في عشرين أكتوبر من العام نفسه أيضًا تقريراً قال فيه : " إنه إذا غادرت القوات الفرنسية ميناء طولون Toulonفي ٢٠ يونيو، فإنها يمكن أن تصل الإسكندرية في ١٠ يوليو، و القاهرة في ٢٠ يوليو تقريبًا، والسويس في ٢٥يوليو، ويمكن أن تكون في الهند بعد ذلك بنحو ٤٥ يومًا قبل أن تكون لدى بريطانيا فسحة من الوقت لتتخذ أي إجراء مضاد، على الرغم أننا لا نحتاج إلا إلى عشرة آلاف جندي فرنسي فقط لطرد البريطانيين من الهند[٣] .

ويقول مجالون في تقرير آخر: " إن أجمل هدية تقدمها فرنسا للشعب الفرنسي (بعد الثورة) هي احتلال مصر[٤].

يتضح من التقارير السابقة أن القنصل الفرنسي في مصر كان يشجع حكومته ويحرضها على السيطرة على مصر وطريق البحرين المتوسط والأحمر، وبالتالي تهديد المصالح البريطانية في الهند، وفي إطار ذلك، اقترح على حكومته ميعاد الخروج

---

(١) رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية " رأس العواصف" وذلك لكثرة ما به من عواصف، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه "رأس الرجاء الصالح " وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه؛ لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول إلى الهند . انظر: يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القسم الثاني، ص ٦٣٠، حاشية٤.

(٢) وليد محمد جرادات : الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص١١٢.

(٣) شوقي الجمل : المرجع السابق، ص ٢١ .

(4) Sheet,I:opcit.pp.80-81; see also :https ://t.co/9m92cm5 ouf

لتنفيذ ذلك والمدة التي سوف تستغرقها، وعدد الجنود المناسب لذلك، وتقدير نسبة الخسائر الممكنة .

وفي اعتقادي، إن فكرة غزو مصر بدأت منذ ذلك التاريخ (أكتوبر ١٧٩٥م)، ولهذا يمكن أن نطلق على هذه المرحلة (مرحلة التفكير) وأصبح واضحًا أن هذا الغزو يراد به أن يكون وسيلة لتحقيق هدف آخر أبعد، وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند، وهو طريق الإسكندرية السويس البحر الأحمر مرورًا بالقاهرة، ومنع بريطانيا من استخدامه، حتى يمكن ضربها في مستعمرتها قبل أن تتخذ أي إجراء لصد هذا العدوان[١].

ومن العوامل التي دفعت فرنسا أن تفكر بجدية في السيطرة على مصر ومنطقة البحرين المتوسط و الأحمر، تمكن بريطانيا في عام ١٧٩٥م من السيطرة على مستعمرة رأس الرجاء الصالح، وبذلك أصبح طريق رأس الرجاء الصالح متعذرًا على السفن الفرنسية، ولذلك سيطرت على الفرنسيين رغبة قوية في الانتقام من بريطانيا بضربها في مصادر قوتها في الشرق، وانتزاع التجارة الشرقية منها[٢] . بل إن طريق الإسكندرية السويس البحر الأحمر له من المزايا ما يتفوق به على طريق رأس الرجاء الصالح، خاصةً بالنسبة لفرنسا، فمن خلاله، تستطيع فرنسا أن تنفذ إلى الهند، فتنال من البريطانيين و تبسط نفوذها في الشرق .

وفي هذا الصدد، أكد مجالون القنصل الفرنسي في مصر في تقاريره لحكومته في باريس على وجوب قيام فرنسا باحتلال مصر والتحكم في ميناء السويس على

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوي (الدكتور) : قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها، ج١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،١٩٧١م، ص ١٧.

(2) Paul Strathern Napoleon in Egypt (Random House publishing Group, 2008) Chaptr1,p.1.

وجه الخصوص لحماية المصالح السياسية والاقتصادية الفرنسية، والقضاء على أهمية طريق رأس الرجاء الصالح، وأكد على أهمية استيلاء الفرنسيين على الإسكندرية السويس والبحر الأحمر لطرد البريطانيين من الهند، وسيطرة فرنسا على هذه المناطق والتجارة فيها، وإيجاد طريق للمواصلات العالمية خلال أراضي مصر، وقد قوبل هذا التحرك من قبل القنصل الفرنسي في مصر، بمراقبة نظيره البريطاني جورج بولدوين George Baldwin القنصل البريطاني في مصر، الذي أظهر تحركًا ملحوظًا لانتعاش التجارة البريطانية مع حكام مصر، وحاول إحباط المشروعات الفرنسية فيها، وهكذا بدأ احتدام الصراع بين الدولتين بريطانيا وفرنسا، وأخذت كل منهما ترقب تحرك الأخرى، خوفاً من أن تستأثر بامتيازات تؤثر على مصالح الدولة الأخرى(١).

ويلاحظ أنه في جميع المشروعات التي قدمت إلى الحكومة الفرنسية حكومة المديرين أو(حكومة الإدارة Direct ire) والتي تشجع على غزو مصر .

أظهرت بجلاء أهمية البحرين المتوسط والأحمر، ولهذا بحثت الحكومة الفرنسية بشكل جدي كل التقارير والمقترحات التي تحثها على غزو مصر .

وظهرت لدى الدوائر السياسية الفرنسية آنذاك وجهتا نظر بصدد ضرب المصالح البريطانية، الأولى: تؤيد أفضلية غزو بريطانيا في عقر دارها بدلاً من محاولة ضربها ضربة غير مباشرة في مستعمراتها الشرقية، والثانية: توجيه ضربة قوية للمصالح البريطانية في الشرق عمومًا باحتلال مصر واتخاذها قاعدة متقدمة للنفوذ الفرنسي في الشرق، وقد وجدت وجهة النظر الثانية تأييدًا لدى بعض الساسة والقادة العسكريين الفرنسيين، ومنهم الجنرال بونابرت Bonaparte الذي كان شديد الحماس والإدراك لأهمية موقع مصر الاستراتيجي المطل على البحرين المتوسط والأحمر، أسرع طريق

(1) Paris, 1902, p.234. Napoleon De Histoire De Sire, La Croix:

للوثوب على النفوذ البريطاني في المنطقة، وغزو الهند عن طريقه[١]. وقد ذُكر عن بونا برت أنه قال صراحة: " لكي نحطم بريطانيا يجب أن نضع أيدينا على مصر"[٢].

وأكد هذا القول عندما قال لجنوده قبل وصوله إلى مصر وهو على متن السفينة "لوريان" Lorient في ٤ مسيدور Messidor سنة ٦: أيها الجنود: " أنتم مباشرون غزوًا لا يجد تأثيره بالمدنية و التجارة في المعمورة، وستضربون بريطانيا ضربة مؤلمة ريثما يتسنى لكم أن تضربوها الضربة القاضية ... "[٣] .

وإلى جانب ذلك، فإن تاليران Talleyrand الذي أُختير وزيرًا للخارجية الفرنسية عام ١٧٩٧م، كان يؤمن بحاجة فرنسا إلى التوسع والاستعمار؛ والحقيقة أن فرنسا في ذلك الوقت كانت آخذة في التوسع والامتداد، وكان الشرق هو المكان المناسب أمام فرنسا لتحقيق تلك المصالح والأطماع، وهذا ما أكده مرة أخرى أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن هدفًا أساسيًا وحيدًا لها؛ لأنه في الواقع يخدم أهدافًا أكثر طموحًا لفرنسا التي تسعى– عن طريق احتلال مصر – إلى تحويل التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر؛ الأمر الذي يتيح لفرنسا– من خلاله الانقضاض على الوجود البريطاني في الهند؛ لأنها تعتقد في أهمية التجارة في بناء المستعمرات البريطانية في الشرق، مستعينة في ذلك على البحر الأحمر وجزر موريشيس في المحيط الهندي في الحصول على السفن اللازمة لهذه الخطة [٤]. هكذا كان الاثنان "بونا برت "و"تاليران" يؤيدان الحملة الفرنسية على مصر كل التأييد .

---

(١) شوقي الجمل (الدكتور): تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤م، ص٦٢٥.

(٢) جون كيلي : بريطانيا والخليج العربي ١٧٩٥.١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان، ١٩٨٦م، ص٩٥.

(٣) محمد فؤاد شكري (الدكتور): عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٢م، ص٦٨.

(٤) جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص ص ٩٥ – ٩٦ .

كما أوضح" مجالون "القنصل الفرنسي في مصر في تقرير له لحكومته في ٩فبراير ١٧٩٨م أي قبيل مجيء الحملة إلى مصر بأربعة أشهر عن مقدار الفوائد التي ستجنيها فرنسا من غزو الشرق، وتتلخص فيما يلي : "إما أن يعمل الفرنسيون مباشرة من مصر على طرد البريطانيين من الهند قسرًا، وإما أن يكتفوا بتهديد التجارة مع الشرق على الأقل"[١] .

وبهذه الصورة وضحت نوايا فرنسا للسيطرة على مصر والبحرين المتوسط والأحمر، وبذلك خرجت الفكرة من حيز النظر والتفكير إلى حيز العمل والتنفيذ .

وبهذا يمكن القول: إن فكرة غزو فرنسا لمصر، ووضع يدها على الطريق البحري الموصل للهند، هي فكرة قديمة حقًا، غير أن إخراجها إلى حيز التنفيذ في ذلك الوقت،يرجع لظروف فرنسا الداخلية، وعلاقاتها بالدول الأوروبية الأخرى، فقد نجحت فرنسا في تسوية موقفها من الدول الأوروبية (الحلف الأوروبي الأول) [٢] ضدها ولعل معاهدتها مع النمسا في عام ١٧٩٧م (معاهدة كمبيو فرميو) Campo–Formio تعد نهاية هذه التسويات، بقيت بريطانيا العدو اللدود لفرنسا وكان التفكير في الانتقام من بريطانيا يسير جنبًا إلى جنب مع التفكير في إحياء الإمبراطورية الفرنسية[٣] .

---

(١) فاروق عثمان أباظة (الدكتور): عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩. ١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٨٠

وانظر كذلك: De Sire,La Croix: op.cit,pp.234–236.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الحلف الأوروبي الأول . انظر: محمود حسن صالح منسي (الدكتور): تاريخ القرن التاسع عشر (د.ن)، القاهرة، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، ص ص ٥٠–٦٠.

(3) G.S.:Great Britain in the Indian Ocean 1810 Sheet, op.cit, pp 90–91,La Croix.: op.cit,p.236 Graham.

ثانياً: مرحلة التنفيذ :

انتقلت الاستراتيجية الفرنسية إلى مرحلة أبعد من مرحلة التفكير، إلى مرحلة التنفيذ، واتضح ذلك من خلال قرار الحكومة الفرنسية بوضع جيش الشرق تحت قيادة "نابليون بونابرت" في ١٢ أبريل عام ١٧٩٨م، ويتضح ذلك من القرار، كيف كانت الحملة الفرنسية على مصر بالغة الأثر في الصراع البريطاني الفرنسي حول البحرين المتوسط والأحمر؟ وكيف أدت إلى إشعال الصراع بينهما بصورة أكثر ضراوة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ؟[١] .

وقد نص قرار الحكومة الفرنسية على المواد التالية :

أولاً: احتلال مصر، بإنشاء مستعمرة فرنسية فيها.

ثانيًا: السيطرة على البحر الأحمر، وطرد الإنجليز من مراكزهم فيه، ومن ممتلكاتهم في الشرق، وفي الجهات التي يمكن لنابليون أن يصل إليها .

ثالثًا: أن يعمل نابليون على شق قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط خلال برزخ السويس

رابعًا: أن يبذل نابليون جهوده لبسط نفوذ فرنسا على البحرين المتوسط والأحمر[٢].

ولهذا، يتبين لنا أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن الغاية، وإنما كان مرحلة في الصراع البريطاني الفرنسي حول السيطرة على البحرين المتوسط والأحمر، ثم التدخل في الهند لطرد الإنجليز منها، والقضاء على مصالحهم وتجارتهم كليًا في الشرق[٣].

وكانت الخطوة الأولى لنابليون اعداد حملة أطلق عليها " حملة البحر المتوسط " Mediterranean Sea Expedition؛ بتجميع حوالي (٤٠.٠٠٠) أربعين ألف

([1]) De Sire 1850,Oxford,1976,p.73,p.282.

([٢]) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص١٨.

([3]) De Sire, La Croix.: op.cit.pp.257-258.

جندي و(١٠.٠٠٠) عشرة آلاف بحار في موانئ فرنسا المطلة على البحر المتوسط، وتجميع أسطول كبير في طولون مكون من ١٣ سفينة خط، و١٤ فرقاطة و٤٠٠ ناقلة، وكان اتجاه الحملة سرًا لم يعرفه إلا بونابرت نفسه، وبيرثييه، وكافاريللي وغاسبار مونج عالم الرياضيات، والأدميرال " فرانسوا بول برويز" قائد الأسطول الفرنسي .

وفي ١٩ مايو ١٧٩٨م، وجه نابليون خطاب إلى قواته، وهو على ظهر السفينة لوريان في ميناء طولون قائلاً لهم: "أيها الجنود، أنتم أحد أجنحة الجيش الفرنسي، لقد حاربتم فوق الجبال وعلى السهول، وفي المدن؛ ولم يبق إلا الحرب في البحر[١]، وكان يقصد البحر المتوسط .

وعندما وصل أسطول نابليون إلى جزيرة مالطه Malt، طلب من فرسان مالطه السماح لأسطوله بدخول الميناء والحصول على الماء والطعام. فلم يسمح حاكمها إلا لبعض السفن، فأمر نابليون جنوده باحتلال الجزيرة في ١١ يونيو وتم له ذلك، ثم اتجهت الحملة بعد ذلك إلى جزيرة كريت Crete لتضليل الأسطول البريطاني . وبعد ثلاثة عشر يومًا، أصبح الأسطول الفرنسي على مقربة من الإسكندرية .

وعلى الرغم من السرية التامة التي أحاطت بتحركات الحملة الفرنسية وبوجهتها، فإن أخبارها تسربت إلى بريطانيا العدو اللدود لفرنسا، وبدأ الأسطول البريطاني يراقب الملاحة في البحر المتوسط، واستطاع نيلسون Nelson قائد الأسطول البريطاني الوصول إلى ميناء الإسكندرية قبل وصول الحملة الفرنسية بثلاثة أيام، وأرسل بعثة صغيرة للتفاهم مع السيد محمد كريم حاكم المدينة وإخباره أنهم حضروا للتفتيش عن

---

(١) محمد فؤاد شكري (الدكتور) : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي(د . ت)، ص٩٠–٩١ ؛ وانظر: وليد جرادات: المرجع السابق، ص١٢١.

الفرنسيين الذين خرجوا بحملة كبيرة وقد يهاجمون الإسكندرية، لكن محمد كريم ظن أن الأمر خدعة من جانب الإنجليز لاحتلال المدينة تحت دعوى مساعدة المصريين لصد الفرنسيين، فأغلظ القول للبعثة، فاتجه الأسطول البريطاني ناحية بلاد الشام، وبعد ثلاثة أيام، وصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية ونجحت في احتلالها في ٢ يوليو ١٧٩٨م بعد مقاومة بسيطة، ثم وجه نابليون منشورًا إلى أهالي مصر تحدث فيه عن سبب قدومه لغزو بلادهم .

ثم أمر ببناء أسطول فرنسي في البحر الأحمر، لتوجيه ضربة قاصمة للبريطانيين في الهند؛ كما أمر بتشكيل لجنة من المهندسين والعلماء لدراسة مشروع حفر قناة خلال برزخ السويس لتوصيل مياه البحر الأحمر بالمتوسط(١).

غير أن الظروف السيئة التي وجد الفرنسيون أنفسهم فيها حينذاك لم تمكنهم من استكمال مخططاتهم تجاه البحر الأحمر، خاصة بعد تحطم الأسطول الفرنسي على يد الأسطول البريطاني بقيادة نيلسون في موقعة أبي قير البحرية يومي ١،٢ أغسطس ١٧٩٨م(٢) .

ولم يكن الأسطول الفرنسي الذي أقيم في البحر الأحمر سوى مجموعة من السفن الصغيرة، غير القادرة على أكثر من ربط موانئ مصر ببعض الموانئ القريبة في البحر الأحمر(٣)، في حين أن لجنة قناة السويس توصلت إلى نتائج غير دقيقة فيما يتعلق بالخطأ الحسابي لمستوى المياه في البحرين المتوسط والأحمر(٤).

---

(١) وليد جرادات: المرجع السابق، ص١٢٤.

(2) De Sire,Le Croix:op cit.pp.257-258.

(٣) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ؛ ص٩١؛ عمر عبد العزيز عمر (الدكتور): دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ص١٠٩-١١٠.

(٤) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق، ص٣٣٧.

كما وضع تحطيم الأسطول الفرنسي في أبي قير حداً لمطامع بونابرت في توغله في مياه البحر الأحمر والوصول إلى الهند [١]، و على الرغم من هذا الفشل، زاد اهتمام نابليون والفرنسيين بالبحر الأحمر، وخاصة بعد أن فرض عليهم الإنجليز حصارًا من جهة البحر المتوسط ؛ ليحولوا بينهم وبين الاتصال بالوطن الأم فرنسا، فلم يكن أمامهم بذلك لمحاولة الانطلاق من مصر سوى طريقين: أحدهما :طريق الشام في اتجاه استانبول، وثانيهما : طريق البحر الأحمر في اتجاه الهند .

أما الطريق الأول، فقد بدأ في ٧ مارس ١٧٩٩م بقيام نابليون بحصار يافا والانتصار فيها ودخولها، ثم اتجه شمالاً في اتجاه عكا، وفي ١٨مارس حاول حصار عكا، إلا إن حامية عكا والعثمانيين نجحوا بمعاونة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط في هزيمة الجيش الفرنسي.

وكان السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٨-١٨٠٧م) قرر شن حرب ضد فرنسا، وأرسل جيشين إلى مصر: انطلق الأول تحت قيادة أحمد باشا الجزار، مع (١٢.٠٠٠) اثنى عشر ألف جندي وتم تعزيزه بقوات من دمشق وحلب والعراق بـ (١٠.٠٠٠) عشرة آلاف رجل، والقدس بـ (٨.٠٠٠) ثمانية آلاف رجل .

وكان الجيش الثاني تحت قيادة مصطفى باشا، في جزيرة رودس Rhodes مع حوالي ثمانية آلاف جندي، كما عرف مصطفى باشا أنه سيحصل على حوالي ٤٢ ألف جندي من ألبانيا واستانبول والأناضول واليونان، خطط العثمانيون هجومين ضد القاهرة من سوريا عبر الصالحية – بلبيس – الخانكة، ومن رودس عن طريق الهبوط البحري في منطقة أبو قير أو ميناء مدينة دمياط . وإذا كان الجيش الفرنسي

([1]) Coupland, R.: East Africa and its Invaders, London,1938,p.88

وانظر كذلك : جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص١٠٣.

الزاحف إلى بلاد الشام قد استعصى عليه دخول عكا ثم ارتد إلى مصر، فلم يكن أمامه سوى الطريق الثاني طريق البحر الأحمر[١].

وفي إطار السيطرة على طريق البحر الأحمر والوصول إلى الهند، لجأ نابليون إلى إستراتيجية جديدة تعتمد على عقد صلات ودية مع بعض أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية وجنوب البحر الأحمر، فأرسل عدة رسائل إلى بعض أمراء العرب في الحجاز ومسقط واليمن وغيرها للإعلام بنفوذ فرنسا، والتمهيد لما قيل عن استعداد حملة فرنسية كبيرة للخروج لغزو الهند[٢].

وقد حققت فرنسا في هذا الطريق (طريق البحر الأحمر) نجاحًا لم تحققه في حملتها على بلاد الشام كما سبق أن رأينا، وإزاء ذلك، كان لبريطانيا رد فعل مهم، فما هو هذا الموقف ؟ .

ثالثًا : **مرحلة رد الفعل** :

لقد كان للموقف البريطاني ردود أفعال سريعة لمواجهة التحرك الفرنسي في مصر، منذ وطئت قدم الحملة الفرنسية الأراضي المصرية، واتخذت بريطانيا الكثير من الإجراءات لمواجهة الخطر الفرنسي. فقد أثار مجيء الحملة الفرنسية على مصر انتباه الحكومة البريطانية، فالحملة كانت بمثابة ناقوس الخطر الذي نبهها إلى ما يحيق بمصالحها الحيوية في الشرق من أخطار، بل لمست بريطانيا عمليًا مدى التهديد الذي يمكن أن توجهه فرنسا لمناطق نفوذها ومصالحها، إذا وقعت مصر

([1]) Letter du general Bonaparte au Cherif de La Mecque Ghalib ibn Moussaid en date Caire Le 25aout 1798 (13rebiul– ewe 11213)

([2]) Letter du general Bonaparte au Cherif De La Mecque,en date du quartier – general du Caire,Le 30 juin 1799 (26 Moharrem1214)

وطريق البحر الأحمر تحت قبضة فرنسا، وهى الدولة المنافسة لبريطانيا بصورة رئيسة[١].

ومن ثم، تغير موقف الحكومة البريطانية ونظرتها لمصر والبحر الأحمر إلى اهتمام زائد وتمسك شديد بأهم طريق حيوي في مواصلاتها الإمبراطورية، فقبل عام ١٧٩٧م، لم تكن بريطانيا تهتم بمنطقة البحر الأحمر وحدها، إنما كان لديها ثلاثة طرق توصلها بمستعمراتها في الهند؛ وهى: الخليج العربي، وطريق البحر الأحمر، وطريق رأس الرجاء الصالح .

وفي أغسطس عام ١٧٩٧م تشكلت لجنة لدراسة أفضل الأساليب الممكنة لتأمين مراسلات الهند مع بريطانيا عن طريق الخليج العربي والبحر الأحمر فقط، أما طريق رأس الرجاء الصالح، فكان أطولها فاستبعد من الدراسة، وأوصت اللجنة آنذاك بأفضلية الخليج العربي على طريق البحر الأحمر لقلة تكاليف المراسلات من خلاله، وخلوه من العواصف[٢].

غير أن الأوضاع كلها تغيرت بعد قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، وأصبح محور السياسة البريطانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي يدور حول السيطرة على المراكز الإستراتيجية المهمة في طرق المواصلات إلى الهند، وخاصة طريق البحر الأحمر الذي يعد أقصر هذه الطرق، الذي يمكن لفرنسا من خلاله الانطلاق إلى الشرق بسرعة وتهديد الممتلكات البريطانية هناك[٣].

---

(١) جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) أحمد السباعي : تاريخ مكة، ج٢، ط٢، مطابع دار قريش، ١٣٨٢هـ، ص ص ١٢٥– ١٢٦؛وانظر : سعد بدير الحلواني (الدكتور) : العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر الميلادي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٨، ص ص ٢٦–٢٧.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٨م،ص ص ٥٩–٦٠.

وعلى أية حال، فسواء أكان هناك خلاف حول ما إذا كان لدى فرنسا خطة محددة استهدفت احتلال الهند أم لم يكن، فإن الحملة الفرنسية على مصر ووصول القوات الفرنسية إلى شواطئ الإسكندرية ثم البحر الأحمر، أشعر السلطات البريطانية بالخطر، وجعل من الضرورة اتخاذ الإجراءات المضادة السريعة للحيلولة دون إمكانية وصول القوات الفرنسية إلى الهند(١).

وبناءً على ذلك، وضعت بريطانيا سياستها على أساس وضع الفرنسيين في مصر بين فكي الكماشة وتحاصرها من ناحية البحر المتوسط ومن ناحية البحر الأحمر(٢)، على النحو الذي يأتي ذكره.

أولًا : بعد أن وصلت الأنباء إلى لندن بتوجه الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت، صدرت الأوامر للقوات البريطانية بقيادة نيلسون في مايو عام ١٧٩٨م بالتوجه إلى الإسكندرية، ثم إلى الأناضول لتنسيق التعاون مع السلطات العثمانية لمواجهة الغزو الفرنسي(٣)، على أساس أن الدولة العثمانية صاحبت السيادة على مصر آنذاك .

ثانيًا : وفي واحد أغسطس عام ١٧٩٨م، دخل الأسطول البريطاني بقيادة الأدميرال سير "هوراثيو نيلسون" في مواجهة عسكرية مع الأسطول الفرنسي بقيادة الأدميرال "فرانسوا بول بروييز" في موقعة أبي قير البحرية، وسماها الإنجليز "معركة النيل"، واستمرت هذه المعركة يومي (١،٢ أغسطس)، وكان التكتيك العسكري الفرنسي أن يقابل الهجوم البريطاني من جانب واحد وهو المواجه

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٣ ؛ وانظر كذلك: محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية، ص ص ٢٥٥–٢٥٦.

(2) Letter du general Bonaparte a limam de Mascate, du quartier general du Caire Le 25 janvier 1799 (28Chaban1213).

(٣) وليد جرادات : المرجع السابق، ص ص ١٢٥–١٢٦.

للبحر، بينما الجانب الآخر محمي من قبل الشاطىء، إلا إن نيلسون قائد الأسطول البريطاني وضع خطة التفاف حول الأسطول الفرنسي، بحيث وضع نصف سفنه بين البر والأسطول الفرنسي، وبالتالي القدرة على المهاجمة من كلا الجانبين. ودارت الدائرة على الأسطول الفرنسي وتحطم في هذه الموقعة[١]، وهو ما جعل مهمة إنجاز المخططات الرئيسة للحملة الفرنسية أمرًا بالغ الصعوبة [٢]، وأحبط هذا هدف نابليون في تعزيز الموقف الفرنسي في البحر المتوسط .

زاد من حرج الموقف الفرنسي قيام الأسطول البريطاني بمحاصرة الشواطئ المصرية، ومن ثم عزل الحملة الفرنسية في مصر عن الوطن الأم فرنسا .

ثالثًا : استطاعت الحكومة البريطانية – بعد هزيمة الفرنسيين في موقعة أبي قير البحرية– أن تستصدر من السلطان العثماني[٣] في أغسطس من العام نفسه أيضاً، فرماناً يمنح السفن الحربية البريطانية حرية الملاحة في البحر الأحمر، وأصدر السلطان العثماني أوامره إلى حكام الثغور في البحر الأحمر لتقديم المساعدة للقوات البريطانية التي ستزور تلك الموانئ. ومن ثم تلاقت وجهات

([1]) op.cit, p.88; Coupland,

وانظر كذلك: جون كيلي: المرجع السابق، ج ١،ص١٣٠.

([٢]) جون كيلي: المرجع السابق، ص ص ١٠٣–١٠٤؛ وانظر كذلك: صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٦٩.

([3]) Public Records Office, (P.R.O.) admirals in Letters, (ADM I)/ 169, PP.270–279, PP.396–398, PP.402–405.

نظر كل من العثمانيين والبريطانيين في ضرورة التحالف معاً لإخراج الفرنسيين من مصر[١].

واستكمالاً لسياسة التحالف البريطاني العثماني، حرصت بريطانيا على المبالغة في إظهار صداقتها للدولة العثمانية، وإن كان المحرك الأول للموقف البريطاني هو المحافظة على مصالحها ونفوذها في المنطقة، وقد عبرت الحكومة البريطانية في مراسلاتها مع السلطان العثماني عن رغبتها في حماية ممالك السلطان، واستعدادها لتقديم المساعدة العسكرية لمواجهة الخطر الفرنسي، حتى إذا تطلب الأمر الاشتراك معها في حرب ضد الفرنسيين[٢].

شملت هذه المراسلات أيضاً إمكانية انضمام دولة ثالثة للتحالف البريطاني العثماني، وقد تكون هذه الدولة روسيا [٣].

سارت المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا من جانب، وروسيا وبريطانيا من جانب آخر، وأسفرت المفاوضات عن عقد تحالف دفاعي هجومي لمدة ثمانٍ سنوات بين روسيا والدولة العثمانية في ديسمبر ١٧٩٨م، وقد دعت الدولتان الدول الأوروبية الأخرى كبريطانيا والنمسا وبروسيا وغيرها للانضمام إلى هذه المعاهدة لحفظ التوازن الدولي[٤].

وفي يناير ١٧٩٩م، نجحت بريطانيا في عقد معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية، جاء فيها: "انضمام بريطانيا إلى التحالف العثماني الروسي، للعمل معاً

---

(١) كمال الدين حسين عبد الرحيم : بونابرت والقصير والمعارك الرئيسة في جنوب الصعيد، القاهرة، ١٩٩٦م ص١١.

(٢) نفسه، ص ص١١-١٢

(٣) نفسه، ص ص٤٦-٥٥، ص ص ٦٠-٦٢.

(4) Graham, G.S.: op.cit,PP.73-74

لطرد الفرنسيين من المنطقة، في مقابل تعهد بريطانيا بضمان استقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها دون استثناء" [١] .

وتنفيذاً لهذه المعاهدة، قامت بريطانيا بإرسال قواتها إلى مصر، والحقيقة، إن الحكومة البريطانية أدركت مدى أهمية الاشتراك العسكري مع الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر للمحافظة على المصالح البريطانية في الهند .

وقد مهد عقد هاتين المعاهدتين تكوين المحالفة الدولية ضد فرنسا . وهى ما تعرف بالتحالف الدولي الثاني ضد فرنسا [٢]. إذ سرعان ما انضمت مملكة نابولي وحكومة النمسا إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة ١٧٩٩م وأعلنتا الحرب على فرنسا[٣].

رابعًا : في إطار الإجراءات البريطانية لمواجهة الخطر الفرنسي في منطقة البحر الأحمر، أرسلت بريطانيا قوة عسكرية مكونة من أربعة آلاف جندي إلى الهند لتعزيز القوات البريطانية المرابطة هناك[٤].

كما أرسلت دوريات استطلاعية من الأسطول البريطاني فيما بين منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر، وطُلب من حكومة الهند البريطانية الاتصال

([1]) Bombay Archives (B.A) Secret and Political Departments, (S.P.D.),Diary No.57/ 1797, PP.1618-1644.

سنشير إلى وثائق أرشيف بومباي فيما بعد بالاختصار : B.A

([٢]) فاروق عثمان أباظة: المرجع السابق، ص ٨١.

([٣]) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق، ص ٧٧.

([٤]) شوقي الجمل (الدكتور): سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة منشورة ضمن " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة "، مرجع سابق، ص ٣٩٠.

بحكام الولايات الشمالية الغربية من الهند لإقناعهم بصد أي هجوم قد يقوم به الفرنسيون على الهند[١].

خامسًا : طُلب من حكومة الهند البريطانية أيضاً، كسب ود والي بغداد، وتعيين ممثل سياسي بريطاني فيها[٢]، جاء في مقدمة قرار تعيينه التصدي للخطط الفرنسية في المنطقة بكل السبل المتاحة [٣] .

سادسًا : استكمالاً للإجراءات البريطانية في منطقة البحر الأحمر، حرصت حكومة الهند البريطانية على توثيق اتصالاتها بحكام المنطقة، لضمان عدم اتصالهم بالفرنسيين، ولتدعيم الوجود البريطاني في البحر الأحمر، فقامت بإرسال رسائل إلى حكام الثغور في البحر الأحمر تحذرهم من قدوم الفرنسيين وخطر تواجدهم في بلدان البحر الأحمر، وطلبت منهم عدم تقديم أية تسهيلات لهم[٤].

سابعًا: وكان ضمن سلسلة الإجراءات البريطانية الوقائية للوقوف ضد الزحف الفرنسي أن قامت حكومة الهند البريطانية بالتشاور مع الحكومة البريطانية في لندن حول احتلال جزيرة "بريم" أو "ميون" كما كان يسميها العرب، عند مدخل

([1]) pp. 4237–4239. B.A., (S.P.D.), Diary No. 66 / 1798,

([2]) De Sire, La Creix: op . cit.,pp.257–258.

وانظر كذلك : وليد جرادات : المرجع السابق، ص١٢١

([٣]) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق، ص٧٧

([٤]) مجموعة الوثائق التركية : دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وثيقة بدون رقم، ترقيم ٢٢/٤/١ (د.ن) ويرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة هو ١٧٩٨م، لأن الاستعدادات العثمانية الفعلية قد بدأت في هذا العام؛ ولمزيد من التفاصيل، انظر أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : سياسة فرنسا واستراتيجيتها في البحر الأحمر إبان الحملة الفرنسية على مصر، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٢، يوليو . سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ص ١٣٥، ١٦٢.

البحر الأحمر، بناءً على ذلك، قام حاكم بومباي " كابتن جي دنكان "Cap.J.Duncan" باتصالات دبلوماسية مع بعض حكام البحر الأحمر، فبعث برسائل إلى كل من إمام اليمن، وسلطان لحج وعدن، وشريف مكة، وحاكم جدة، وحاكم المخا وذلك في فبراير ١٧٩٩م [١]. تضمنت هذه الرسائل جميعها موضوعًا واحدًا هو أن الفرنسيين اتخذوا من جزيرة بريم مقرًا لهم للسلب والنهب، وأن حاكم بومباي قد أرسل إلى تلك الجزيرة المذكورة عددًا من المدافع مصحوبة بالسفن الحربية البريطانية للحماية ولوضع رقابة على مدخل البحر الأحمر [٢]

وصدرت الأوامر بأن تكون الحملة تحت قيادة العميد البحري "جون بلانكيت" John Blanket قائد السفن البريطانية في البحر الأحمر والمدن المجاورة، كما تم تكليف الكولونيل "جون موراى " Col. John Murray بقيادة الجيش المعني باحتلال جزيرة بريم[٣]. ولهذا تحركت من بومباي قوة بحرية في أبريل ١٧٩٩م قوامها ثلاثمائة أوروبي وهندي واتجهت نحو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، تمكنت هذه القوة من احتلال جزيرة بريم الواقعة في أضيق نقطة بمضيق باب المندب[٤]، الذي يصل البحر الأحمر بخليج عدن وذلك في اليوم الثالث من شهر مايو عام ١٧٩٩م وظلت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من العام نفسه .

---

(١) محمد عبد الحميد على عثمان: المطامع البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص٤٦.

(2) B.A.,(S.P.D),DiaryNo.75/1799,pp.2235-2236.

(3) P.R.O.,(ADMI) 178:op. cit,pp.324-325, the also: .B.A., (S.P.D), Diary No. 75/ 1799, pp.2137-2145

(4) P.R.O.(ADMI)/169,op.cit,pp.580-585;the also: B.A.(S.P.D.), Diary No 75 / 1799,pp. 2235-2236

غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لا يمكن السيطرة عليها من جزيرة بريم بواسطة المدفعية الساحلية، كما أن مناخ الجزيرة رديء للغاية، وليست بها مياه للشرب ولهذا سحب " مورای " قواته من جزيرة بريم(١).

بعد إخلاء جزيرة بريم، صدرت موافقة مجلس حكومة بومباي على تأسيس قاعدة بريطانية في عدن خاصة بعد أن اطمأن " مورای " لحسن نوايا سلطان لحج وعدن الذي أبدى موافقته المبدئية على بقاء البريطانيين مؤقتاً في عدن خلال الفترة التي يحتاجونها. وقد اتجه " مورای " بقواته إلى عدن، حيث استقبله سلطانها استقبالًا طيبًا. وبذل "مورای " محاولاته للتحالف مع سلطان عدن لضمان اتخاذ عدن محطة دائمة للسفن البريطانية، غير أن هذا الموضوع تأجل الاتفاق عليه(٢) واضطرت هذه القوة البحرية البريطانية أن تنتظر في عدن حتى شهر مارس عام ١٨٠٠م لتستعين بالرياح الموسمية للتوجه عائدة إلى الهند.

وإبان وجود القوات البريطانية في عدن، حدث شجار بين جنود القوات البريطانية وبين بعض العرب، وخشية من تورط المصالح البريطانية في نزاعات داخلية مع الأمراء العرب الذين من مصلحة بريطانيا إبقاء العلاقات الودية معهم، صدرت تعليمات حاكم بومباي " دنكان " إلى الكولونيل " مورای " بالرحيل من عدن، إما إلى جزيرة بريم، أو العودة إلى الهند (٣).

---

(1) George, H.B: Historical Geography of the British Empire,p124

انظر كذلك : فاروق عثمان أباظة (الدكتور): التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دراسة ضمن كتاب " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، مرجع سابق، ص٣٦١.

(٢) صلاح الدين البكري اليافعي : في جنوب الجزيرة العربية، (د.ت) ص٥١.

(3) Aitcheson, C.U.: A collection of Treaties, Engagements, and Sands relating to India and the Neighboring Countries, vol. XI, p 123

وعلى الرغم من التعليمات الصادرة إلى الكولونيل " موراى " غير أنه اتجه على رأس قواته إلى شمال البحر الأحمر(١)، لزيارة الجيش العثماني هناك، ثم اتجه إلى خليج السويس لمواجهة النشاط الفرنسي هناك .

وفي إطار الإجراءات العسكرية لحكومة الهند، أُرسلت حملة من بومباي في شهر مارس عام ١٨٠٠م بقيادة العميد " بلانكيت " متجهة أيضاً إلى البحر الأحمر "حملة البحر الأحمر " Red Sea Expedition، وفي ميناء المخا اليمني، تلقي قائد الحملة أنباءً عن اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر " اتفاقية العريش "، وأن الفرنسيين على وشك سحب قواتهم من السويس، فسار فورًا إلى السويس للمساعدة في تطبيق شروط المعاهدة إذا لزم الأمر، ولكنه عندما وصل إلى السويس تعرض لإطلاق النار من قبل القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في السويس حينئذ، فتراجع العميد بلانكيت الذي تأكد له أن المعاهدة مع الفرنسيين قد أُبطلت بسبب رفض البريطانيين لبعض بنودها(٢).

فاتجه إلى ميناء جدة لرسو السفن، خاصة أنه تبين له أن ميناء القصير لا يصلح لرسو السفن ويمثل خطراً على السفن البريطانية، وفي جدة اجتمع العميد " بلانكيت " مع شريف مكة غالب بن مساعد للحصول على مساعدة لطرد الفرنسيين من مصر والبحر الأحمر(٣).

---

(1) B.A.(S.P.D.),Diary No.88/1800, pp. 926-928 .

(2) 4B.A.(S.P.D.),Diary No.90/1800, pp.1143-1145

(3) P.R.O, (ADMI) / 170, pp. 164- 166.

وكان الشريف غالب بن مساعد قد اتفق مع الفرنسيين من قبل على عدم فتح موانيه أمام السفن البريطانية، ولهذا فقد لمس العميد "بلانكيت" تغيراً في موقف الشريف وتصرفاته تجاه البريطانيين(١).

وجاءت التعليمات إلى العميد "بلانكيت" أن يبذل كل جهوده لتجريد الفرنسيين من وسائل الاستقرار في البحر الأحمر، والعمل على اعتراض التجارة الفرنسية، وفصلها عن مصالح شريف مكة التجارية(٢).

ومما هو جدير بالذكر، أن الحكومة البريطانية لم تكتف بتجهيز حملة العميد "بلانكيت" إلى البحر الأحمر لمساندة حملة البحر المتوسط والمشتركة مع القوات العثمانية في الشمال، بل عملت على تجهيز حملة ثالثة بقيادة "سير هوم بوفهام" Sir H. Popham. عام ١٨٠١م، حيث عهدت إليه بالخروج في أسطول حربي عبر رأس الرجاء الصالح يتجه إلى بومباي، ويستعين هناك بقوات إضافية ثم يتوجه إلى البحر الأحمر، ويعمل على الاتصال ببقية وحدات الأسطول البريطاني بقيادة العميد "بلانكيت"(٣). للعمل معاً على إجلاء الفرنسيين عن مصر. ومع أن بعثة بوفهام تأخر وصولها ولم تشارك فعليًا في تحركات العميد بلانكيت العسكرية، وإنما دخل في إبرام علاقات ودية مع حكام منطقة البحر الأحمر(٤) فقد حملته حكومته رسائل عديدة إلى كل من شريف مكة، وإمام اليمن، وسلطان لحج وعدن تطلب منهم الدخول في معاهدات حلف وصداقة(٥).

---

(1) 187. P.R.O., (ADMI) / pp.176-170,

(2) P.R.O., (ADMI) /170, pp.190-191

(3) P.R.O., ADMI /170 pp.206-207.

(٤) محمد فؤاد شكري: الحملة الفرنسية، ص ص ٤٠١-٤٠٢.

(5) Playfair, R. L.: A history of Arabia Felix or Yemen, Bombay Government Central Press. 1859.pp.124-126

وفي إطار تدعيم حملة البحر الأحمر، صدرت تعليمات حاكم الهند بتجهيز كل ما يلزم من جنود وسفن ومدافع لمساندتها، وبالفعل وصلت قوة بحرية بريطانية من بومباي إلى ميناء القصير في مايو ١٨٠١م واحتلت الميناء واتجهت صوب صعيد مصر للمساهمة في القتال ضد الفرنسيين.

غير أن حملة البحر الأحمر التي وصلت القصير وتوغلت في أراضي مصر، كانت قد وصلت إلى القاهرة في أغسطس من عام ١٨٠١م، وبذا لم تشارك في قتال الفرنسيين، ولم يكن لها أثر في العمليات العسكرية التي انتهت بجلاء الفرنسيين من مصر، ووقع العبء كله على حملة البحر المتوسط [١]. التي تابعت انسحاب آخر جندي فرنسي من مصر في سبتمبر ١٨٠١م، كما أنهم استولوا على جزيرة مالطة حتى لايقوم الفرنسيون باحتلالها مرة أخرى .

ولاشك أن هدف المسؤولين في الحكومة البريطانية من اشتراك حملة البحر الأحمر مع حملة البحر المتوسط والقوات العثمانية المتحالفة معها في شمال مصر، تطويق القوات الفرنسية من الشمال والجنوب و من ثم الإجهاز عليها .

وعلى الرغم من أن حملة البحر الأحمر تأخرت ولم تشارك في العمليات العسكرية إلا إنه يرجع الفضل لها في السيطرة على موانئ السويس والقصير، وتأمين المنطقة عسكرياً أمام أية محاولة فرنسية مباغته [٢].

كما إن إرسال قوات بريطانية من الهند خلال البحر الأحمر أمر له دلالته، إذ يظهر مدى الارتباط الذي بدأ يوجد بين مصر والممتلكات البريطانية في الشرق عن طريق البحر الأحمر، وظل هذا الارتباط من القواعد الجوهرية في سياسة بريطانيا في

---

(١) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية، ص ص ٣٩٥–٣٩٧.

(٢) جون كيلى : المرجع السابق، ج ١، ص ١١٤.

الشرق طوال القرن التاسع عشر الميلادي[١]، كما إن التعاون بين القوات البريطانية في الشمال الآتية من أوروبا وبين القوات البريطانية الآتية من الجنوب في الهند سمة واضحة في استراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ ذلك الحين، كما كانت هذه الحادثة دلالة على أول استخدام للبحرين المتوسط والأحمر في الأغراض العسكرية الحديثة [٢].

وهكذا، تبين لنا أن البريطانيين قد اتخذوا عدداً من الإجراءات السياسية والعسكرية في منطقة البحر الأحمر والبحر المتوسط والبحار المتصلة بهما مثل الخليج العربي والمحيط الهندي، فضلاً عن اتصالاتهم مع أمراء وحكام منطقة البحر الأحمر، وتحالفهم مع الدولة العثمانية واستمرت تلك الإجراءات الأمنية الوقائية حتى بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وبذلك نستطيع أن نقول أن الإجراءات التي اتخذتها بريطانيا لمواجهة الخطر الفرنسي نجحت إلى حد كبير في احتواء الاستراتيجية الفرنسية والتغلب عليها في المنطقة كحلقة من حلقات الصراع الاستعماري الفرنسي البريطاني .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٧.

(2) Marston, Thomas, E.:Britain's Imperia Role in Sea area, 1800–1878, Copyright 1961, pp.31–32. The Red

الخاتمة :

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الإستراتيجية الفرنسية قد اتخذت من عام ١٧٩٥م عامًا حاسمًا ومفصليًا في سياستها تجاه ضرب بريطانيا في مستعمرتها عن طريق السيطرة على منطقة البحر الأحمر، وبدأ التفكير بجدية في غزو مصر.

كما اتضح من هذه الدراسة أن الخارجية الفرنسية ممثلة في "تاليران" و"ماجلون"، كانت تعمل بالتنسيق مع القوات العسكرية الفرنسية ممثلة في " نابليون بونابرت "، للعمل على السيطرة على منطقة البحر الأحمر، والخطوة الأولى لتحقيق ذلك هي السيطرة على مصر كموطئ قدم للوثوب منها للسيطرة على بقية مناطق البحر الأحمر .

ولهذا، يتضح أن الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م، لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هدف أبعد وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند وهو طريق البحر الأحمر، وبالتالي منع بريطانيا من الوصول إليها .

كما بينت هذه الدراسة أن السياسة الفرنسية، قد لجأت إلى عددًا من الإستراتيجيات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية من أجل احتواء منطقة البحر الأحمر والسيطرة عليها. غير إن هذه الإستراتيجيات لم تنجح بسبب الإجراءات المضادة التي اتخذتها بريطانيا عن طريق استخدام نفس الأسلوب الاستراتيجي في المواجهة .

غير أن الذي ساعد بريطانيا في التغلب في النهاية وجود أكثر من قاعدة عسكرية انطلقت منها القوات البريطانية، هذا بالإضافة إلى التحالف البريطاني العثماني، فضلاً عن قيادة بريطانيا لعقد التحالف الأوروبي الأول والثاني ضد فرنسا .

كما أوضحت هذه الدراسة أن إرسال قوات عسكرية بريطانية من الهند "حملة البحر الأحمر" للاشتراك مع القوات العسكرية البريطانية الآتية من أوروبا "حملة البحر المتوسط"، أمر له دلالته في التنسيق والارتباط بين الهند ولندن، ويحدث هذا لأول مرة في الاستراتيجية البريطانية، وأصبح ذلك سمة واضحة في إستراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر الأحمر وحتى طوال القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين الميلاديين .

خط سير الحملة الفرنسية على مصر